التصريح والتلميح في الخطاب السياسي المصري المعاصر

دراسة تداولية..

بيانات مبارك إبان ثورة يناير نموذجًا

دكتور/ عبد العزيز صابر عبد العزيز

مدرس العلوم اللغوية

بكلية دار العلوم – جامعة المنيا

الإطار العام:

يهدف هذا البحث [التصريح والتلميح في الخطاب السياسي المصري المعاصر . دراسة تداولية .. بيانات مبارك إبان ثورة يناير نموذجًا] إلى إلقاء ضوء جديد على الخطاب السياسي، من حيث الفكرة والمعالجة باعتباره خطابًا مختلفًا تمامًا عن الخطابات الأخرى . ففيه يستدعي التلميح وسائل إجرائية مهمة للتوصل إليها والتمكن من تأويلها، هذه الوسائل التي تؤدي دورًا مهمًا " في إخراج الخطاب السياسي من الناحية الشكلية التي تقف عند حدود الجملة دون ربطها بما يحيط بها من عناصر مهمة أخرى؛ أي دون النظر إلى منتج الخطاب ومنزلته وعلاقته بالمخاطبين .

وبناءً عليه، تُجسِّد هذه المعالم الاستراتيجية بكل أبعادها ، من حيث الإلمام بكل الوسائل التي تجعل المتكلم السياسي قادرًا على إيصال رسالته على أحسن وجه، متخذًا غاية الإقناع والتأثير هدفًا لكل كلمة يتفوّه بها .

والحقيقة أن مسألة تحليل الخطاب السياسي لرؤساء الجمهوريات أصبحت تحتل مكانة مهمة في البحث السياسي المعاصر في مختلف بلاد العالم. ولعل هذه الأهمية ترجع إلى مركزية الطرح السياسي الذي يقدمه رئيس الجمهورية في أي بلد من البلاد، وأيًّا كان نظامها السياسي شموليًا أو سلطويًا أو ديمقراطيًا في الكشف عن رؤيته سواء للسياسة الدولية أو للسياسة الداخلية .

ويبدو أن القاعدة الرئيسة التي لا تزال متّبعة هي تمحور الخطاب السياسي حول شخصية الزعيم وإنجازاته، والوعود المتكررة بالديمقراطية والمشاركة الشعبية،

والنهضة الاقتصادية، بلغة تكون أحياناً بعيدة عن الإدراك الشعبي، وهذا ما سنلاحظه من خلال مادة هذا البحث، فقد كانت هذه البيانات الثلاثة بعيدة كل البعد عن تطلعات وطموحات الشعب المصري؛ حيث إنها جاءت مخيبة لآمال الكثير من المصريين، ونسي الرئيس مبارك أن لدى كل أمة ذخيرة خطابية تصنع تاريخها وتشكل وعيها، وتتكون هذه الذخيرة من نصوص وكلام يشق طريقه إلى ذاكرة الأمة؛ ليصبح جزءًا لا يتجزأ من تاريخها، ويرتبط – مثل هذا الكلام وهذه النصوص – بشخصيات استثنائية، وعادة ما يكون نتاج لحظات تاريخية بالغة الخصوصية.

ومن بين هذه النصوص التي لا تزال – وستظل – حاضرة وفاعلة في الذاكرة المصرية والعربية المعاصرة هي بيانات الرئيس مبارك إبان ثورة يناير ٢٠١١م .

أسباب اختيار الموضوع :

[١] التعرض للخطاب السياسي بالتناول التداولي الجديد بما يحمله من آليات جديدة.

[٢] استغلال بعض الحقول المعرفية في معالجة الموضوع وهي: اللسانيات، البلاغة، والتداولية .

[٣] معرفة أسباب أفضلية التواصل عن طريق التلميح على التواصل عن طريق التصريح.

أهداف البحث:

[١] التعامل مع الخطاب السياسي وتحليله وفق المنهج التداولي.

[٢] تحديد بعض المفاهيم القديمة ومعاينتها وفق المنظور الحديث.

[٣] الكشف عن ظاهرتي التصريح والتلميح في الخطاب السياسي المصري .

إشكالية البحث:

من خلال هذا البحث سأحاول –بمشيئة الله تعالى – أن أجيب عن مجموعة من الأسئلة، وهي:

[١] كيف أسهم السياق بدوره المهم في تشكيل الخطاب ؟

[٢] ما المقصود بكل من التصريح والتلميح في الخطاب ؟

[٣] ما الأصل فيهما ؟ التصريح أم التلميح ؟

[٤] هل كان بمقدور المخاطب أن يستغني عن إحداهما ؟

[٥] لماذا يكون التلميح أبلغ من التصريح ؟

كل هذه الأسئلة وغيرها يحاول البحث أن يكشف اللثام عنها، وذلك من خلال التطبيق على بيانات الرئيس الأسبق – مبارك – إبان ثورة يناير .

مادة البحث:

مادة البحث هي بيانات الرئيس الأسبق مبارك الثلاثة التي ألقيت إبان ثورة يناير على فترات متقاربة :

البيان الأول: بتاريخ ٢٨ يناير ٢٠١١م .

البيان الثاني: بتاريخ ١ فبراير ٢٠١١م .

البيان الأخير بتاريخ ١٠ فبراير ٢٠١١م .

وهذه البيانات الثلاثة محفوظة على شبكة الإنترنت تحت اسم

Htt://www.revolution٢٥january.com

وعدد كلمات هذه البيانات [٢٧٥٠] كلمة لم يستغرق إلقاؤها أكثر من تسع وثلاثين دقيقة . وتحقيقاً للأهداف المرجوة من البحث، فقد جاءت محاور البحث على النحو التالي :

[١] الكلمات المفاتيح:

– التصريح والتلميح . – الخطاب السياسي . – اللسانيات التداولية .

[٢] استراتيجية التصريح ووسائلها في الخطاب السياسي

[٣] استراتيجية التلميح ووسائلها في الخطاب السياسي.

[٤] نتائج البحث .

الكلمات المفاتيح :

التصريح والتلميح :

يُعد التصريح on-record والتلميح off-record من الاستراتيجيات المهمة[١] التي يلجأ إليها المخاطب؛ حيث تصنف استراتيجيات الخطاب إلى اثنين، فالكلام؛ أي كلام يكون واحدًا من صنفين؛ إما قصدًا مباشرًا؛ أي أن [القصد يتضح في الخطاب مباشرة، وإما قصدًا غير مباشر، بأن يكون المعنى مستلزمًا من شكل الخطاب، وبالتالي يصبح شكلاً يستلزم قصدًا غير المعنى الذي يدل عليه ظاهر الكلام] [٢].

ومن ثمَّ ، فالمخاطب إما أن يسلك القصد المباشر في كلامه، وهذا القصد – بالطبع – لا يكون هدفه الأساسي، أو أن يسلك القصد غير المباشر وهو – الأغلب– إخفاء مقاصده ومعانيه؛ حيث يعمد المتكلم إلى إخفاء أهدافه، ويرى من خلال مقصده هذا إلى أمور يتدخل سياق الخطاب في كشفها وتحديدها.

---

(١) في الواقع لم ينل مصطلح [الاستراتيجية] اهتمام من قِبَل الباحثين على الرغم من تكراره وروده في اللغات الأجنبية في الحقل اللساني، بل يكتفي في الغالب باستعمال اللفظ كما هو ، حاشا بعض اهتمام عارض كترجمة د. تمام حسان للاستراتيجية [stratgy] بمعنى [المرتكزات]، وهذه الترجمة تأتي في إطار النظرية النصية الإجرائية. حول ذلك يُنظر: د. جمعان عبد الكريم. الاستراتيجية وعلاقتها بالنص والخطاب، بحث منشور على الموقع التالي : www.lissaniat.net .

أما الدكتور فالح العجمي، فيفسر الاستراتيجيات في المجال التداولي بأنها [الإمكانات التي بواسطتها يصل المنشئ إلى هدفه، حيث يقول: تتم إجراءات تقديم أفضل الطرق أو أقصرها للوصول إلى ما يهدف المنشئ إليه من خطابه وسط موازنة بين عدة إمكانات [أو استراتيجيات كما يسميها التداوليون] للخطاب تتوفر لديه، وتقدم اللغة أساليب مختلفة لكل منها، فيلجأ صاحب الخطاب إلى الأسلوب الذي يناسب الاستراتيجية التي اختارها] حول المزيد ينظر : د. فالح بن شبيب العجمي: اللغة والسحر، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٤م ، ص ١٦٤ أو ما بعدها . وتكمن أهمية هذا المصطلح في اللسانيات التداولية باعتباره مرتكزًا أساسيًا من المرتكزات المهمة التي يعتمد عليها منتج الخطاب، فقد ارتبط مفهوم الاستراتيجية بالخطاب باعتباره عملية يقوم بها المرسل باختيار العبارات والكلمات المناسبة، وكذا اختيار السياق المناسب، فهو قبل التلفظ بخطابه يخطط لكيفية إنتاجه وكذا كيفية إيصال معناه إلى المرسل إليه، فالمرسل يحرص كل الحرص على استعمال اللغة استعمالاً دقيقًا يتواءم والسياق، وحتى يتمكن من القيام بهذه العمليات لابد وأن تكون لديه كفاية لغوية بالإضافة إلى الكفاية التداولية .. للمزيد ينظر: دليلة قسمية: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي الشريف، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب ، ٢٠٠٣م .

(٢) د. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م ، ص ٢٠ .

ومع وضوح استراتيجية التصريح في الخطاب، إلا أن هذا [لا يعني أنها تحظى بالأولوية دائمًا في الاستعمال على الاستراتيجية التلميحية، فقد يفضل المرسل استعمال الاستراتيجية التلميحية دون المباشرة في سياق ما، مع أنه قد يتخلى عن التعبير بها في خطابه، فينجو نحو استبدالها باستعمال الاستراتيجية المباشرة شيئًا فشيئًا حتى يصرّح بقصده، مثلما يفعل المدير الذي يرفض طلب الترقية لأحد الموظفين عندما يتقدم به إليه؛ إذ يختار لذلك صيغة غير مباشرة فيها تعليل وتملص، ولكنه أمام إلحاح الموظف قد يضطر إلى التصريح بالرفض، وعلى العكس من ذلك، فقد يتوخى منذ البدء استراتيجية مباشرة في خطابه، ثم ينجو بعد ذلك إلى التلميح] [1].

والحقيقة أن المرسل قد يلجأ في خطابه إلى الاستراتيجية التلميحية اعتمادًا على مبدأ [الثقة] وهو مبدأ يجعل المرسل إليه يتمكن من تأويل الخطاب تأويلاً مناسبًا، حيث يعتمد المرسل في أثناء خطابه على توظيف ما لدى المرسل إليه من معرفة بالعالم، ومنها معرفته الثقافية .. إلخ .

وبناءً عليه، يمكننا أن نعرف الاستراتيجية التلميحية بأنها الطريقة التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي؛ لينجز بها أكثر مما يقوله؛ إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرًا في ذلك عناصر السياق المختلفة التي قد تؤدي دورًا مهمًا في بيان ما يقصده المرسل.

والجدير بالذكر أن ظاهرة التصريح والتلميح ليست بغريبة عن العلماء العرب، فقد ارتبطت هذه الظاهرة عندهم بالبلاغة التي كانت مفخرة العرب وزمانهم .

وقد كان الاهتمام الأكبر بالاستراتيجية التلميحية لدرجة أنهم تناولوها تحت أسماء كثيرة، كل حسب تخصصه، فتناولها كل من اللغويين والأدباء وعلماء الفقه وأصوله؛ حيث ورد التمثيل لها في النحو بإشارات مقتضبة عند الحديث عن الحذف والتوكيد، وذلك بالاعتماد على ما سبق من كلام في السياق نفسه بين طرفي الخطاب .

ولعل اهتمام العلماء العرب بهذه الظاهرة وخصوصًا الاستراتيجية التلميحية يعكس بشكل كبير مدى وعيهم بقدرة المتلقي على تفسير وتوضيح ما ينتجه المرسل، فها هو شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني يقرر في نظرية النظم أن ما خالف الأصل

---

(1) نفسه، ص١٤٢.

يستلزم غير الظاهر، غير أنه عرض للتلميح على مستوى معنى الخطاب، وذلك عند التعبير بالمفهوم عن القصد؛ حيث إنه عقد فصلاً بعنوان [اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره] ؛ حيث يقول فيه " اعلم أن لهذا الضرب اتساعًا وتفننًا لا إلى غاية، إلا أنه على اتساعه يدور في الأمر الأعم على شيئين: الكناية والمجاز .. والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه"(١).

كذلك كانت الاستراتيجية التلميحية أساسًا مهمًا من أسس مباحث الفقه وأصوله؛ حيث لا يخلو أي مصنف من الإشارة إليه، فمباحث الحقيقة والمجاز كانت المدخل لهذا العلم؛ إذ يبدأ المؤلف عادة بتوضيح مفهوميهما، ثم بإيضاح علاقة الحقيقة بالمجاز، وأدوات كل منهما، وعلاماته اللغوية .. إلخ .

الخطاب:

يُعدّ مصطلح [الخطاب] من المصطلحات الشائكة؛ حيث اختلفت نظرة العلماء له، فمنهم من نظر إليه من حيث الناحية الاجتماعية والإيديولوجية، وهناك من نظر إليه من حيث توافر عنصري الاتصال والقصدية .

والحقيقة أن مفهوم الخطاب لم يكن وليد اللسانيات الحديثة، بل كانت له إرهاصات في الدراسات القديمة فضلاً عن أنه لم يعد مقصورًا على اللسانيات الحديثة أو الأدبيات الحديثة فقط، بل لقى اهتمامًا كثيرًا من الفروع المختلفة؛ مثل علوم الفلسفة والنقد والفقه واللسانيات، الأمر الذي ترتب عليه عدم الاتفاق حوله، فقد قدم كل فرع من تلك الفروع مفهومه الخاص به يختلف تمامًا عن المفهوم الذي تطرحه الفروع الأخرى .

ولعل هذا الاختلاف نتج عنه أيضًا اختلاف في الشكل العام للخطاب؛ حيث اختلف القدماء والمحدثون حول العناصر المكونة له ودور كل عنصر في إنتاجه، فالقدماء يرون أن الخطاب يتشكل من عنصرين رئيسين هما: المخاطِب والمخاطَب. والمحدثون أيضًا يرون أنه يتشكل من عنصرين هما: المرسِل والمرسل إليه، غير أنهم

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٦٦ .

أضافوا عناصر أخرى تسهم بشكل كبير في فهم الخطاب؛ حيث يأتي على رأس هذه العناصر [السياق] الذي يؤدي دورًا مهمًا في تشكيل الخطاب؛ ناهيك عن المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب التي تسهم هي الأخرى بدور كبير في عملية التواصل بين طرفي الخطاب [١].

وجدير بالذكر أن مصطلح الخطاب قد شاع في الآونة الأخيرة شيوعًا ملحوظًا، وكذلك أصبح من [الألفاظ التي تتردد كثيرًا بالاقتران مع صفات أخرى؛ مثل: الخطاب السياسي، الخطاب الثقافي، والخطاب الديني] [٢].

الخطاب في الدرس العربي:

يقول ابن منظور: [الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، وهما يتخاطبان ، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن، قال الليث: إن الخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز إلا على وجه واحد، هو أن الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر] [٣].

وقد ورد لفظ الخطاب في الثقافة العربية في عدة مواضع؛ إذ إنه ورد في القرآن بصيغ متعددة؛ منها: صيغة الفعل : [وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا] الفرقان/٦٣ . وصيغة المصدر: [رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابًا] النبأ / ٣٧ .

واللافت للنظر أن لفظ الخطاب في الموضعين السابقين جاء بمعنين مختلفين، فقد يأتي بمعنى الدعاء تارة، وبمعنى الكلام البيِّن تارة أخرى، وبالرغم من تعدد هذه المعاني واختلافها إلا أنها تتفق في المعنى اللغوي للخطاب باعتماده على المشاركة،

---

(١) حول مفهوم الخطاب ينظر:

- دليلة قسمية: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، ص ٣٨ – ٥٤ .
- محمود إبراهيم : تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، دراسة مقارنة في النظرية والمنهج، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الأردن، ٢٠٠٤م، ص ٥ – ١٨ .

(٢) د. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص ٣٤.

(٣) حول ذلك انظر: د. إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استثماره، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص ١٧ .

- محمد البخيت: سلم الوصول لشرح نهاية السول، المطبعة السلفية ٤٨/١ .

ناهيك عن اتفاق تلك المعاني مع اللسانيات الحديثة في كون الخطاب يعتمد على طرفين مهمين، هما: المخاطِب والمخاطَب.

وتتوالى تعريفات الخطاب من قِبَل الباحثين العرب؛ حيث يعرفه د. حميدة سميسم قائلاً: [نظام تعبير مقنن ومضبوط، وهذا النظام ليس في جوهره إلا بناء فكريًا يحمل وجهة نظر، وقد تمت صياغته في بناء استدلالي أي بشكل مقدمات ونتائج بين مخاطب ومخاطب ضمن عملية التواصل والاتصال، وبعبارة أخرى، فإن الخطاب يعني المعرفة المنظمة بجانب محدد من الواقع أو ظاهرة محددة] (١).

ويركز الدكتور أحمد المتوكل في تعريفه على الجانب الاتصالي بين المنتج والمستقبل بغض النظر عن نوع الاتصال شفهيًا كان أم كتابيًا؛ حيث يقول في تعريفه : [الخطاب يعد كل ملفوظ / مكتوب يشكل وحدة تواصلية تامة] (٢).

الخطاب في الدرس الغربي:

تؤكد جميع الدراسات أن مفهوم الخطاب – وهو مصطلح حديث – غير متفق عليه بالرغم من رواج هذا المصطلح رواجًا هائلاً في السنوات الأخيرة الماضية، ويرجع ذلك كله إلى أنه أصبح من المصطلحات الأكثر تداولاً في مجالات مختلفة، مثل: اللسانيات وعلم الاجتماع وعلم النفس والنقد .. إلخ .

ونظرًا لشيوعه فقد دأب كثير من الدارسين على تركه دون تعريف أو تحديد .

والحقيقة أن مصطلح الخطاب [ارتبط استعماله عند الغربيين بفكرة الثنائية اللغوية [اللغة والكلام] التي وضعها دوسوسير، فاللغة عنده نتاج اجتماعي لملكة اللسان] (٣).

ولذلك ، فقد أهمل دوسوسير الكلام، وفي المقابل كان الكلام محل اهتمام اللغويين بعد ذلك، فحاولوا وضع مفهوم دقيق للخطاب.

فالخطاب هو [امتداد مستمر للغة وبالأخص المنطوقة، وهو أوسع من الجملة مشكلاً في أغلب الأحيان وحدة متماسكة] (٤).

---

(١) د. حميدة سميسم: مفهوم الخطاب الإعلامي ضمن بحوث [تحليل الخطاب العربي] جامعة فيلادلفيا، كلية الآداب ١٩٩٧م، ص ١٠٧ وما بعدها .

(٢) د. أحمد المتوكل:الوظيفة بين الكلية والنمطية، مكتبة دار الأمان، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٢٢.

(٣) رابح بحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، ٢٠٠٦م، ص ٧١ .

(٤) David Nunan: Discourse analysis, Penguin book. First published ١٩٩٣, p.٦.

في حين يرى فان دايك أن الخطاب [عبارة عن متوالية من الجمل، يتبع بعضها بعضًا في ترتيب محدد، بعض هذه المتواليات يشكل خطابًا دلاليًا متماسكًا مقبولاً. بعبارة أخرى فإن الوصف التركيبي ينبغي أن يوضح علاقات وحالات متنوعة تعرف منطق توالي الجمل، فعلى سبيل المثال الجملة المنعزلة التي تتألف من فعل فقط لا تكون غالبًا غير نحوية فقط، بل أيضًا تكون غير مفهومة، لكن مع استطراد متواليات الجمل ربما يكون عدم الاكتمال عاديًا، لكن العنصر النحوي المفقود والمعلومة الأخرى يمكن أن يكتمل عن طريق الجملة السابقة] (١).

أما بنفينيست فيعرف الخطاب قائلاً [الملفوظ منظورًا إليه من زاوية آليات وعمليات اشتغاله في التواصل أو بوصفه – بتعبير آخر – أكثر اتساعًا كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعًا وهدف الأول التأثير على الثاني بطريقة ما] (٢).

إذن، من خلال التعريف السابق يؤكد بنفينيست ضرورة تأثير المتكلم على المستمع؛ حتى يتم التواصل بطريقة جيدة.

ومهما يكن من أمر، فإن كانت هناك اختلافات في طرح المفهوم، فهذا شيء بديهي؛ لأن هذا التعدد سببه الرئيس هو اختلاف الاتجاهات التي ينتمي إليها الدارسون، فكل تعريف ينبئ عن صاحبه ويعبر عن وجهة نظره .

ومجمل القول، فالخطاب عبارة عن [وحدة بلاغية تواصلية ناتجة عن مخاطب معين وموجهة إلى مخاطب معين، في مقام وسياق معينين، وبالانطلاق من وضع محدد يدرس ضمن ما يسمى الآن لسانيات الخطاب] (٣).

الخطاب السياسي:

إن وجود الخطاب السياسي في المجتمع المصري ليس بحديث العهد، فقد كان الخطاب السياسي أحد السبل المهمة إلى فهم تاريخ مصر الحديث –فالخطاب كما أكدت سلفًا – فعل اتصالي يهدف إلى تعديل المواقف والسلوكيات أو تغييرها إزاء القضايا المطروحة .

---

(١) Teun A.Van Dijk: Discourse as structure and process sage publication ltd ١٩٩٧, p.١٠.

(٢) د. عبد الواسع الحميري: الخطاب والنص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، صنعاء، د.ت. ص ٩١.

(٣) بشير ابرير: في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة، العدد ٨ ، جوان ٢٠٠١م، ص ٧٦ .

والحقيقة أن الخطاب السياسي يعد خطابًا إقناعيًا في المقام الأول؛ حيث إنه يهدف إلى حمل المخاطب إلى القبول والتسليم بصدقية الدعوى عن طريق توظيف حجج وبراهين، ويمكننا اعتباره مؤقتًا خطابًا سياسيًا، عندما يقال من طرف سياسي في هدف سياسي، وهو في ذلك كله يُعدّ أكثر الخطابات اللغوية التصاقًا بالجمهور؛ لأنه يهدف إلى التأثير والاستمالة في المتلقي، كما أنه يعد أكثر الخطابات قدرة على التلاعب بالعقول .

ولاشك أن المخاطب السياسي يهدف في المقام الأول إلى التأثير في متلقيه، إما بدفعه إلى تبني رأي ما، أو الاستجابة لطلب معين، وإما لدعم موقفه، وإما لتغيير رأيه كي يبني موقفًا جديدًا .

ويعد الخطاب السياسي ميدانًا خصبًا للدرس التداولي باعتباره خطابًا يبحث خبايا وأسرار الاستعمال اللغوي، والإمكانات التي تتيحها اللغة لمستعمليها، ولذلك سوف يتضح لنا كيف اهتمت اللسانيات التداولية بالخطاب الذي أولته عناية كبيرة مع التركيز على عنصر التداول فيه والمقصدية من وراء إنشائه، كما يتضح كيف ركزت اللسانيات التداولية على تحديد الأهداف الرئيسة التي من أجلها أنشيء الخطاب، وكيفية استخدام اللغة والتعامل معها في سياقات متنوعة حسب المقاصد المتنوعة.

وبعبارة موجزة، فالخطاب السياسي يقصد به [ذلك الشكل الخاص والمتميز من التواصل الموجه لأجل إقناع المتلقي وتعديل سلوكه بصدد موضوعات تهم الدولة وتوجهاتها الداخلية والخارجية، ويستمد تميزه من شخصية مرسله والمقام الذي يتم فيه فضلاً عن بنيته اللغوية وما تتضمن من دلالات وأفكار وأساليب هدفها إقناع المتلقي][1].

وهذا يعني أن الخطاب السياسي هو الذي تستطيع السلطة؛ أي سلطة من خلاله أن تشكل المجتمع في جميع مجالات الحياة دينيًا وسياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا واجتماعيًا ، بل لعل الواقع السياسي في أي مجتمع ما هو إلا انعكاس للخطاب السياسي الذي يسود في هذا المجتمع ويتحكم فيه .

وقد يلجأ الخطيب السياسي إلى استثارة الرموز في عقول ونفوس المخاطبين من أفراد الشعب، كي يتمكن من تحقيق هدفه، فـ [حين يكون الهدف صرف الناس

(1) د. محمد الولي: الموضوعات الحجاجية في المغرب، مجلة علامات، المغرب، العدد ١٠، ٢٠٠٤م، ص ١٢٤ .

عن أمور معينة فإنه يصف هذه الأمور، وتلك الأعمال بأنها: تمرد، تخريب، خيانة، مناهضة للسلطة، قلب نظام الحكم، جماعة محظورة، إرهاب، تطرف .. إلخ] [١].

إذن فنجاح السياسة أو فشلها في الوصول إلى أهدافها في الإقناع والتواصل مع الشعب وتوجيه أفراده نحو الهدف السياسي المطلوب يتوقف على حسن توظيف الرموز اللغوية التي لها رصيد في عقول ونفوس أفراد الشعب.

فالخطيب السياسي لم ولن يجد أفضل من الخطاب السياسي لتحقيق هدفه، وذلك باعتباره خطابًا مرتبطًا على الدوام بالسلطة ؛ لأنه يعد أهم الأدوات التي تلجأ إليها القوى السياسية؛ للوصول إلى مراكز القرار والسلطة لإضفاء المشروعية على محاولاتها، فـ [ليس من بين أنواع الخطاب ما تتجلى فيه الهيمنة والقوة ومحاولات التأثير أكثر من الخطاب السياسي بمعناه الخاص المحدد الذي يتعلق بأمور الحكم والسياسة، ولهذا السبب استأثر الخطاب السياسي دون غيره من محاولات التحليل النقدي واللغوي للخطاب – وما زال يستأثر – باهتمام متزايد حتى تطور في دراسته اتجاه مهم هو تحليل الخطاب السياسي Political Discourse Analysis الذي ينطلق من مقولات ومفاهيم التحليل النقدي للخطاب، ومن ثمّ تأسس عليه من اتجاهات ومفاهيم، ويركز على لغة السياسة ، في خطبهم وحواراتهم ومكاتباتهم وقراراتهم ومؤتمراتهم وتصريحاتهم، وعلى وظائف الخطاب السياسي، وغاياته، وأدواته في تحقيق هذه الغايات] [٢].

وينقسم الخطاب السياسي إلى [خطاب السلطة الحاكمة، وخطاب المعارضة السياسية، فخطاب السلطة الحاكمة فهو الخطاب المنتج من طرف الجهاز السياسي للدولة عن قصد، يرسله ملك أو سلطان أو أمير أو رئيس أو وزير إلى متلقي مقصود، بغية التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب ويتضمن هذا المضمون أفكارًا سياسية، أو يكون موضوع الخطاب سياسيًا][٣].

---

(١) د. محمد داود: اللغة والسياسة في عالم ما بعد ١١ سبتمبر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٢٥ وما بعدها .

(٢) د. بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م ، دار شمس للطباعة والنشر، ص ١٢١ .

(٣) د. محمود عكاشة: لغة الخطاب السياسي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م ، ص ٤٥ .

ولاشك أن الخطاب الأول يسعى صاحبه بكل الوسائل والأدوات لجعله خطابًا مؤثرًا وإقناعيًا؛ حيث يحشد فيه كل الإمكانات اللغوية والمنطقية التي تجعل من خطابه مؤثرًا إلى حد يجعل المتلقي يقتنع بالآراء التي جاءت في الخطاب، ومن ثمّ يحقق هدفه الذي من أجله أنتج خطابه .

[٢] استراتيجية التصريح ووسائلها في الخطاب السياسي:

جاءت البيانات الثلاثة أحادية التوجه؛ بمعنى أن الرئيس الأسبق [مبارك] هو المتحدث الوحيد، فليس للمخاطب أية وسيلة للمشاركة إلا بظواهر غير لسانية، كالتصفيق مثلاً، أو عن طريق ملامح الوجه.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف توظف الاستراتيجية التصريحية داخل الخطاب السياسي ؟ وما هي الآليات التي يوظفها الخطيب داخل خطابه السياسي ؟

بداية نقول: إن الخطبة السياسية شكل من أشكال التواصل السياسي يتسم بأنه تواصل حي من متكلم له طبيعة وهوية خاصة، يخاطب جمهورًا بالأساس في أمور تتعلق بأمور الحكم.

إذن، هناك فرق كبير بين الخطبة السياسية والمحاورة السياسية، فالأولى منهما ينتجها مرسل ولها استجابات محدودة، أما الأخرى فهي تتطلب مرسلاً ومستقبلاً معًا .

ولذلك، فمن الأحرى أن نطلق على هذه النماذج التطبيقية [محل الدراسة] بالبيانات وليست بالخطابات؛ لأنها لم تلق أمام جمهور فعلى يستطيع إصدار استجابات في نفس الوقت .

والحقيقة هنا أنه لكي نحلل بيانًا سياسيًا وفق منظور تداولي فلابد من توافر مجموعة من المعارف التي تعيننا في التحليل ، وهي:

[أ] من يتكلم مع من ؟

[ب] من يخاطب من ؟

[ج] متى ؟ وأين ؟ وعبر أين ؟

[ج] ما طبيعة العلاقة بين المنتج والمتلقي ؟

فالمتحدث [الرئيس مثلاً] إذا خاطب أعضاء مجلس النواب مثلاً [المستقبل] تختلف تمامًا عما إذا كان الرئيس يتحدث مع المعارضة السياسية .

ولاشك أن البيانات الثلاثة لا يمكن أن تفهم بمعزل عن طبيعة العلاقة بين المرسل والمستقبل؛ لأن شكل العلاقة بينهما قد تغير . فمثلاً في البيان الثاني والأخير نجد أن الرئيس الأسبق قد استخدم نفس الاستراتيجيات، فالمتكلم لم يتغير، وكذا الجمهور لم يتغير، والعلاقة بينهما هي التي قد تغيرت، فالصورة الذهنية هي التي قد تغيرت .

كذلك، فإن المكان الذي يقال فيه البيان له دور مهم في تحليل النص تحليلاً تداوليًا، فالبرلمان مثلاً يختلف تمامًا عن ساحة مفتوحة مثلاً؛ إذ إن المكان هو الذي يحدد لغة الخطاب وشكله بين منتجه ومتلقيه .

وإذا كان المكان له دور مهم في سير الخطاب، فإن الزمان لا يقل أهمية عن المكان في تحقيق الخطاب، ففي البيانين الأول والثاني نلحظ أنهما قد ألقيا في وقت متأخر جدًا من الليل، وهذا الوقت المتأخر جاء بعد عدة ساعات من التظاهر والترقب بالرغم من كتابة عبارة [الخطاب بعد قليل] على شاشات التلفاز [1].

وبناءً عليه، فإن كل العناصر السابقة تؤدي دورًا مهمًا في فهم النص وتحليله، وبيان مدى براعة الخطيب في المزج بين استراتيجيتي التصريح والتلميح وآليات كل منهما؛ حتى يخرج خطابه بالشكل الذي يرضيه.

ومن ثمَّ، فكل هذه الأسئلة وغيرها تعد بمثابة إحالات مرجعية؛ لأنها تعين القارئ على فهم النص، وفهم مختلف مقاصده، وبذلك تكون العملية التواصلية محددة المعالم، وواضحة الأقطاب من مرسل ومتلقي وزمان ومكان التلقي، ولذلك فلا غرابة عندما نرى محمد خطابي يؤكد على حتمية توفر كل هذه الأطراف كعناصر أساسية في السياق بقوله : [إنه كلما توفر للمتلقي على معلومات عن هذه المكونات (المتكلم،

---

(1) يبدو أن حلم السيطرة على عقول ونفوس الجماهير كان حلمًا عسيرًا راود السياسيين منذ زمن طويل، فقد كان الديكتاتور النازي أدولف هتلر يختار مخاطبة جماهيره حين ينهكها التعب، بعد طقوس احتفالية طويلة، أو إثر ساعات عمل منهكة، فحين تنهك الأجساد، وترتخي الأعضاء، وتتباطأ الحركة، تضعف قدرة الشخص على التفكير النقدي التفنيدي، ويميل إلى تلقي أكثر سلبية لما يسمعه. حول ذلك ينظر: د. محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م ، ص ٥٧٠ وما بعدها .

المتلقي للرسالة، الزمان والمكان ونوع الرسالة) تكون له حظوظ قوية لفهم الرسالة، وتأويلها، أي وضعها في سياق معين من أجل أن يكون لديها معنى] [1].

ويمكننا أن نخطط لهذه العناصر بالشكل الآتي :

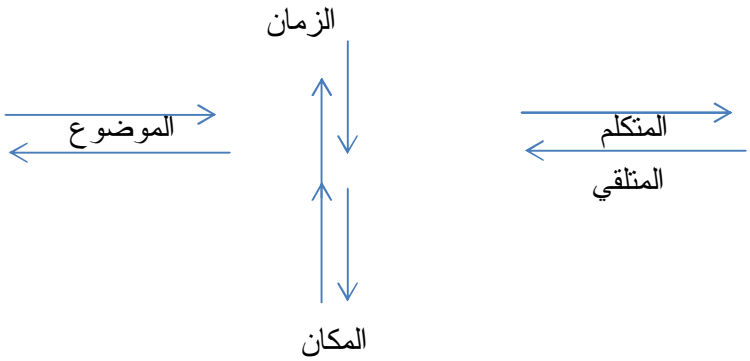

وعادة ما يختار المرسل الاستراتيجيات والآليات التي يوظفها في خطابه، ولعل أولى هذه الآليات والاستراتيجيات هي مراعاة المخاطب، ووضعه نصب عينيه، الأمر الذي يوجب على المخاطب أن ينظم خطابه، وفق ما يقتضيه المرسل إليه، وهذا ما تفرضه عليه العملية التواصلية التفاعلية بينهما، وبالتالي فإن [كل عمل من التواصل الكلامي يراعي متكلمًا يرسل خطابًا أو مرسلة في اتجاه مخاطب أو متلق، قد يكون حاضرًا، وقد يكون غائبًا] [2].

إذن، فعلاقة المرسل بالمرسل إليه، تجعل الأول ينظم خطابه، وفق آليات يستعملها فيه، فهذه العلاقة هي التي تحتم عليه أن يستعمل آلية الحجاج، أو الحوار، أو الاستدلال في خطابه وهي التي تفرض عليه الاختيار ما بين استعمال الشكل المباشر في خطابه أو يلجأ إلى التلميح .

وتبدو استراتيجية التصريح من الاستراتيجيات التي يلجأ إليها المنتج – رغم ندرتها في الكلام – في كلامه ؛ حيث يشير ابن منظور إليها؛ لما لها من أهمية في التواصل البشري؛ حيث يقول : [البيان هو ما يبين الشيء من الدلالة وغيرها، وتبين

(١) د. محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٩م، ص ٢٩٧ .

(٢) د. عبد الجليل مرتاض: اللغة والتواصل. اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي ، دار هومه، الجزائر، ٢٠٠٣م ، ص ٤١ .

الشيء ظهر، وفي المثل قد بيّن الصبح لذي عينين أي تبين، والتبيين الإيضاح والوضوح] (١).

وتكاد تجمع مختلف الدراسات البلاغية واللسانية الحديثة أن مبدأ التصريح من المبادئ المهمة في التراث العربي؛ بحيث لا يمكن تصور أي اتصال دون هذا المبدأ، ويؤكد هذا المبدأ الجاحظ في كلامه [لأن مدار الأمر والغاية إليها يجري القائل أو السامع إنما هي الفهم والإفهام] (٢).

ولقد اشتملت البيانات الثلاثة على وسيلتين من الوسائل التي لجأ إليها المخاطب؛ حتى يحقق هدفه، وهاتان الوسيلتان أسهمتا بشكل فعّال في تحقيق غاية المخاطب، وهما:

[١] التصريح .

[٢] التلميح .

حيث لجأ الرئيس الأسبق حسني مبارك إلى تكثيف بياناته الثلاثة بمجموعة من الأساليب التخاطبية التي وظفها للتواصل مع الشعب المصري وهي:

[١] النداء .

[٢] الأمر .

[٣] النهي .

[٤] الاستفهام .

غير أن طبيعة البيانات والظروف التي ألقيت فيها البيانات حتمت على المخاطب ألا يقحم فيها أساليب الأمر والنهي، والاستفهام، فالسياق والظرف الدقيق الذي تمر به البلاد لا يتناسب مع هذه الأساليب الثلاثة، ومن ثم خلت البيانات الثلاثة جميعها منها .

أما عن الأسلوب الأكثر توظيفاً في هذه البيانات فهو أسلوب النداء؛ لما يقتضيه هذا الأسلوب، ومن ثم، نرى من خلال هذه البيانات كيف وظف المخاطب هذا الأسلوب في استمالة الشعب المصري والسيطرة عليه.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، المجلد الثاني، ص ٤٥.

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٩٨٥م، ص ٧٦ .

فعبارة [أيها الأخوة المواطنون] التي تكررت عبر البيانات الثلاثة تسع مرات بشكل لافت للنظر تبرز – بوضوح – حرص مبارك ونظامه على تطويع سياقي إنتاج الخطب وتداولها، مع حرص مماثل على تطويع بنية لغتها وتراكيبها على نحو يتيح للسلطة القائمة أقصى درجة من التأثير.

ولعل لجوء الرئيس مبارك إلى هذا الاستعمال يشي بنوع من الأسلوب الناعم؛ لجذب قلوب المصريين وعقولهم، فلقد كان المخاطب في الخطبتين الأوليين هو الشعب المصري عامة [أيها الأخوة المواطنون] ؛ حيث كانت هذه العبارة تقوم بدور المفصل الذي يقوم بالربط بين أجزاء الخطبة كميًا ودلاليًا .

لكن جاء البيان الثالث الذي شهد تغيرًا ملحوظًا في طبيعة المخاطب النصي، فقد افتتح بعبارة [الأخوة المواطنون، الأبناء شباب مصر] وأعقب ذلك مباشرة استخدام أسلوب قصر خبري؛ يستبعد [الأخوة المواطنون] من مشهد التواصل المباشر، ويضع [الأبناء] في صدارة موقع المخاطب النصي؛ [أتوجه بحديثي اليوم لشباب مصر بميدان التحرير وعلى اتساع أرضها أتوجه إليكم جميعًا بحديث من القلب حديث الأب لأبنائه وبناته] ولأن فجوة المصداقية كانت عميقة بين [الرئيس الأب] و [الأبناء شباب مصر] فقد استخدم حشدًا من أساليب التوكيد في محاولة لتجسيره، كان من أبرزها :

[الحرج كل الحرج، العيب كل العيب، تألمت كل الألم، أسفت كل الأسف، عازم كل العزم، حريص كل الحرص] .

ومع كل هذا الحشد من هذه التعبيرات إلا أنها لم تسهم – ولو بشكل ضئيل– في تجميل صورة الرئيس، حتى بعد أن أعلن عن زهده في السلطة، ففي خطبة الأول من فبراير ٢٠١١م يفتخر الرئيس بنفسه قائلاً : [إنني لم أكن يومًا طالب سلطة أو جاه] ثم يعلنها صراحة بأنه لم يكن ينتوي الترشح في الانتخابات الرئاسية متعللاً بأنه قضى [ما يكفي من العمر في خدمة مصر وشعبها] .

ومع احتدام الصدام بينه وبين الشعب راح الرئيس يكرر هذا المعنى بصورة أكثر تفصيلاً في بيانه الثالث والأخير: [لم أسع يومًا لسلطة أو شعبية زائفة] و [لقد أعلنت بعبارات لا تتحمل الجدل أو التأويل عدم ترشحي للانتخابات الرئاسية المقبلة مكتفيًا بما قدمته من عطاء للوطن لأكثر من ٦٠ عامًا في سنوات الحرب والسلام] .

وهكذا .. استطاع الرئيس مبارك توظيف آليات التصريح أيما توظيف من خلال تدرج استعمال أسلوب النداء من تنوعات مختلفة؛ بحيث هيمنت – وبشكل رئيسي – قوة الخطاب الناعمة على ساحة الثورة إلا أنها لم تفلح هذه القوة مع مطالب المحتجين الذين لم يرضوا ولم يستجيبوا لهذه الخطابات أو البيانات الناعمة.

[٣] استراتيجية التلميح ووسائلها في الخطاب السياسي:

ويقصد باستراتيجية التلميح تلك العبارات التي تأتي في الخطاب في صيغه غير المباشرة أو بمعنى آخر: الكلام الذي يذهب في دلالته إلى التلميح والإشارة ومن صوره:

خطاب التأدب [الالتماس] ، والموافقة بدلالة الخطاب على القصد، وقصدية الكناية، وقصدية الاستعارة، وقصدية التعريض، وقصدية التهكم.

وبالتالي، فإن استراتيجيات المرسل في إنتاج خطابه لا تتجاوز نوعين اثنين من حيث شكل الدلالة:

[١] إما استراتيجية مباشرة يتضح فيها القصد مباشرة دون عمليات ذهنية للاستدلال عليه .

[٢] وإما استراتيجية غير مباشرة، تحتاج من المرسل إلى عمل ذهني يتجاوز فيه الشكل اللغوي للوصول إلى القصد [١].

ويبدو أن الاستراتيجية التصريحة تتمثل في كيفية التعبير عن القصد الظاهر أصلاً في الخطاب حسب ما يستلزمه السياق في حين أن الاستراتيجية التلميحية تتمثل في التعبير عن القصد أو المعنى المراد باطناً .

ومن ثمَّ ، يرى منير التريكي أن التلميح يعد خصيصة أساسية من خصائص الخطاب السياسي؛ لأنه [ينتمي إلى عالم الإمكان، ويتمثل في احتواء معنى الكلمة أو البنية النحوية على تبعات محتملة، لكنها ليست ملزمة للمتكلم، وبما أنه بالإمكان التخلص من هذه الاحتمالات، فإنه من الصعب إلزام المتكلم بمعنى قصدي قاطع] [٢].

---

(١) د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ٣٦٧ .

(٢) منير التريكي: آليات تحليل الخطاب السياسي، مجلة الحياة الثقافية، تونس، السنة [٢٧] ، العدد [١٣٢]، فيفري ٢٠٠٢م ، ص ١٥ .

وقبل الدخول في التطبيق على بيانات الرئيس مبارك ثمة أمور يستطيع من خلالها الخطاب السياسي أن يحققها من خلال الآليات التلميحية عبر اللغة وهي:

[١] الاستعارة:

من ذلك ما نجده في تعبير الإدارة الأمريكية Hunting down Bin Laden: الذي يتحول فيه [ابن لادن] إلى حيوان يطارده صيادو البنتاجون .

[٢] التشبيه : تشبيه صدام حسين بهتلر، والقاعدة بالمافيا.

[٣] الافتراض المسبق:

ومن ذلك سؤال بوش عقب ١ سبتمبر ٢٠٠١م[١] ? Why do they hate us .

كل ذلك يؤكد الغايات التي يحققها الخطاب السياسي من خلال آليات معينة يسلكها المخاطب، وربما يقودنا ذلك إلى أن نقرر: أن العالم قد يصبح أكثر وعيًا بتوظيف اللغة كسلاح خداع شامل.

وتبدو الاستراتيجية التلميحية[٢] من الاستراتيجيات المهمة في تحقيق غايات ومقاصد المخاطب السياسي، ومن ثمَّ، فإن من أبرز الأدوات اللغوية المستخدمة في ذلك أساليب الاستفهام التي لا يقصد السائل من ورائها أن يسأل عن مجهول، وإنما للخروج من ذلك إلى مقصد آخر؛ مثل: الالتماس، أو دفع المرسل إليه للاشتراك في الخطاب بما يريده المرسل أن يتفوه به، أو أن يفرض الأمر الواقع عليه.

ومن ثمَّ، فشأن أي خطاب وخصوصًا الخطاب السياسي، فإن المخاطب السياسي يسعى إلى تحقيق أربع وظائف أساسية، وهي:

[١] القمع والقهر Coercion : وذلك من خلال فرض القوانين والأحكام والعقوبات والتنظيمات وشن الحروب، والتهديد، وفرض الأوامر والتعليمات وما إليها .

[٢] إضفاء الشرعية أو تجريد الآخرين / الأعداء / delegitimation /legitimation: والخصوم والمنافسين من خلال تجميل الذات وتقبيح الآخر،

---

(١) د. بهاء الدين محمد: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ص ١٢٧ .

(٢) من المصطلحات المرادفة للتلميح مصطلح [الاقتضاء] الذي يعد عند كثير من اللغويين واحدًا من المفاهيم المهمة في التداولية؛ حيث إنه مثال حي ونابض للمعنى الذي يتم إيصاله دون قول؛ فاللغة على حد تعبير عبد القاهر الجرجاني – كلها اقتضاء، ولذلك يقول : " وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس " . ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٤٩ .

من خلال ادعاء الانحياز إلى جانب الحق والخير والعدل في مواجهة من ينحازون إلى الباطل والشر والظلم .

[٣] المقاومة والمواجهة Resistance and Opposition :

إزاء الخطاب السائد المهيمن، خصوصًا إذا كان خطابًا شموليًا لا يراعي إنسانية البشر ولا يعدل بينهم، وفي محاولات التغيير إلى ما هو أفضل .

[٤] التضليل Dissimulation :

من خلال إخفاء بعض التفاصيل أو الحقائق لحساب تفاصيل وحقائق أخرى، أو التركيز على بعض جوانب الواقع دون غيرها تحقيقًا لما سبق من غايات(١).

ونظرًا لأن الخطاب نص جاهز سلفًا، فذلك قد ييسر من مهمة إلقائه والتعامل معه، فلم يحظ بالارتجال .. يبين ذلك سر الخطاب وفق كرونولوجية معينة بداية من إلقاء التحية، ثم الانتقال تدريجيًا إلى عرض الموضوع؛ ليصل المخاطب في نهاية المطاف إلى إلقاء كلمة ختامية يحث فيها على حب الوطن والتضحية من أجله وتغليب المصالح العامة على المصالح الشخصية [وسوف أدافع عن أمن مصر واستقرارها وأمان شعبها فتلك هي المسئولية والأمانة التي أقسمت يمينًا أمام الله والوطن بالمحافظة عليها] .

ويستمر الرئيس مبارك في استمالة القلوب من خلال بيان بطولاته ونجاحاته [إن هذا الوطن العزيز هو وطني .. مثلما هو وطن كل مصري ومصرية .. فيه عشت .. وحاربت من أجله .. ودافعت عن أرضه وسيادته ومصالحه .. وعلى أرضه أموت .. وسيحكم التاريخ عليّ وعلى غيري بما لنا أو علينا .. إن الوطن باق والأشخاص زائلون .. ومصر العريقة هي الخالدة أبدًا .. تنتقل رايتها وأمانتها بين سواعد أبنائها، وعلينا أن نضمن تحقيق ذلك بعزة ورفعة وكرامة جيلاً بعد جيل] .

ولا يخفى على أحد حرص المخاطب السياسي دائمًا على التخفي من استعمال الضمير الدال على المتكلم إلى الضمير الدال على [المتكلمين]، وفي ذلك دلالة غير خافية، ففي استعمال هذا الأخير يوحي بعدم تحمل المسئولية [سنثبت نحن المصريين قدرتنا على تحقيق مطالب الشعب بالحوار المتحضر، سنثبت أننا لسنا أتباعًا لأحد، ولا نأخذ تعليمات من أحد، وأن أحدًا لا يصنع لنا قراراتنا سوى نبض الشارع ومطالب

(١) د. بهاء الدين محمد: تبسيط التداولية، ص ١٢٣ .

أبناء الوطن .. سنثبت ذلك بروح وعزم المصريين .. وبوحدة وتماسك هذا الشعب، وبتمسكنا بعزة مصر وكرامتها وهويتها الفريدة، فهي أساس وجودنا .. ستعيش هذه الروح فينا مادامت مصر وشعبها، ستعيش هذه الروح فينا مادامت مصر ودام شعبها، ستعيش في كل واحد فينا، ستعيش في كل واحد من فلاحينا وعمالنا ومثقفينا، ستبقى في قلوب شيوخنا وشبابنا وأطفالنا، مسلميهم وأقباطهم، وفي عقول وضمائر من لم يولد بعد من أبنائنا] .

حيث يتضح جليًا هذا التكثيف الحاشد لضمير الجمع؛ إذ إنه جاء في أكثر من [عشرين موضعًا] الأمر الذي يؤكد مدى حرص المخاطب السياسي على التخفف من عدم تحمل المسئولية ورغبته في إشراك غيره معه في هذه الظروف الدقيقة التي تمر بها البلاد .

وفي الجانب المقابل، وفي وقت الحديث عن المجد والانتصارات، فإنه ينسبها إلى نفسه، وكأنه هو الوحيد الذي قام بتحقيقها [أفنيت عمرًا دفاعًا عن أرضه وسيادته] وقد يقوم بنفي عن نفسه نعتًا سلبيًا : [إنني لم أكن يومًا طالب سلطة أو جاه] ، وقد يسند لنفسه القيام بفعل إيجابي يعزز صورته الإيجابية العامة؛ مثل [لقد انحزت – وسوف أظل – للفقراء من أبناء الشعب على الدوام] أو يصف شعورًا شخصيًا ينطوي على إيحاءات إيجابية ؛ مثل [أسعد أيام حياتي يوم رفعت علم مصر فوق سيناء] .

ويبدو ملمح مدح الذات ملمحًا بارزًا في بيانات الرئيس مبارك؛ حيث مثلت كلمات التعبير عن مدح الذات نسبة ٣١% من مجمل مفردات البيانات الثلاثة ٨٥٤ كلمة من مجموع ٢٧٥٠ كلمة .

من الواضح أن البيان الثاني الذي تهيمن عليه الوظيفة الانفعالية بشكل أكبر لافت للنظر؛ حيث حصد مدح مبارك لذاته، وتوجهه نحو مخاطبة نفوس المصريين وانفعالاتهم تعاطف كثير من المصريين، حتى إن بعض من كانوا على يسار النظام، انفعلوا بالخطبة إلى حد البكاء [١].

ويمكن الإشارة إلى قضية لم يرغب المخاطب في وصفها بالتدقيق، ولكن رجع إليها نظرًا لما لها من علاقة بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وهي قضية [

(١) مثلما حدث من بكاء الأستاذة [منى الشاذلي] وهي واحدة من أشهر المذيعات المصريات على الهواء فور انتهاء البيان في برنامجها الشهير [العاشرة مساءً] .

الإرهاب] ، فقد وظَّف كلمات وأوصافاً جعلها ملائمة لهذه الفئة التي زرعت اليأس والبؤس في أفئدة المجتمع المصري؛ إذ تزهق الأرواح البريئة من دون أي ذنب [وعلينا أن نحاذر مما يحيط بنا من أمثلة عديدة انزلقت بالشعوب إلى الغموض والانتكاس فلا ديمقراطية حققت ولا استقرارًا حفظت] .

والحقيقة أنه لا يمكن تصور خطاب سياسي يخلو من هذه الميزة التضمينية، على اعتبار أن المخاطب لا يقول دائمًا كل شيء، وحتى إن حاول ذلك فلن يكون إلا باتخاذه طريقًا يتمكن من تمرير أقواله دون تحمل مسئولية قولها، ومن العناصر البارزة في الناحية التضمينية نجد الافتراضات المسبقة؛ إذ إن المعلومات موجودة في الأقوال سواءً بردها إلى حالة النفي أو الإثبات .

وتظهر سيناريوهات المجهول والفوضى كرأس حربة يحاول من خلالها النظام تفتيت إرادة التغيير، ومن ثم كانت مفردة [المستقبل] من أكثر المفردات المعجمية تكرارًا في البيان الأول في ٢٨ يناير ٢٠١١م، حيث تكررت [٨] مرات.

ولعل التنويعات الثنائية التي لجأ إليها مبارك في بياناته الثلاثة تمثل حرص النظام في بيان مدى ما يترتب عليه هذا التغيير .

ويمكننا رصد هذه التنويعات في الشكل الآتي:

م	استمرار النظام	الثورة
١	الاستقرار	الفوضى
٢	المستقبل	المجهول
٣	الأمن	الخوف
٤	الإنجازات	الانتكاس
٥	المكتسبات	الخراب
٦	الحرية	الفوضى
٧	البناء	الهدم
٨	الإصلاح	العنف
٩	الاستقرار	الديمقراطية
١٠	مصالح الوطن	الأجندات الخاصة

ومن خلال هذه التنويعات يظهر توظيف الرئيس لآليات التلميح؛ حيث تظهر هذه التنويعات، سواء كانت في شكل تضاد صريح [إن أحداث الأيام القليلة الماضية تفرض علينا جميعًا شعبًا وقيادة الاختيار ما بين الفوضى والاستقرار] أو في شكل تقابل ضمني؛ مثل [لا ديمقراطية حققت ولا استقرارًا حفظت] وبالتالي، لا يجد حرجًا في التأكيد مرات عديدة على أنه يجب [علينا أن نحاذر مما يحيط بنا من أمثلة عديدة انزلقت بالشعوب إلى الفوضى والانتكاس] ففي ذلك إشارات واضحة لما يخيف الشعب المصري، فالمخاطب متأثر كثيرًا بتلك الأحداث التي حدثت ومن محاولات البعض التي رأى أنها ثائرة على الحكم أو السلطة .

ويمكن القول إن المخاطب اغتنم كل هذه الأحداث لتمرير رسالته للشعب بدفعه إلى الإيمان بالقوة الكامنة فيه، وإبراز أن المشاكل التي يتخبط فيها من اقتصادية واجتماعية منطلقها هو اللا – أمن واللا – استقرار ولابد للمتلقي أن يفهم كذلك؛ إذ يكون فاعلاً مدركًا يستعد لاستقبال الرسالة أولاً، ولمعالجتها وإعادة صياغتها ثانيًا.

والملاحظ أن البيانات الثلاثة جسَّدت المستقبل: الغد في صورة إنسان شرير يجلب معه الانزعاج والقلق والهواجس [لهم ولذويهم وعائلاتهم ومستقبل ومصير بلادهم]، كما تم تجسيد الخوف من المستقبل في صورة وحش مرعب حيث ألقت [أحداث اليوم والأيام القليلة الماضية في قلوب الأغلبية الكاسحة من أبناء الشعب الخوف على مصر ومستقبلها] .

فالمخاطب هنا دائمًا وأبدًا يذكر بمجهوداته باعتباره فردًا من أفراد هذه الأمة، ويمكن القول: إن تقاسم المعرفة بين المشاركين في الخطاب فيما يخص ممارستهم الاجتماعية باعتبارها ذواتًا اجتماعية تعد شرطًا من شروط الخطاب، يقول طه عبد الرحمان : [فهناك معرفة نسميها اجتماعية أو ثقافية أو تراثية .. وهي معرفة مشتركة بين المتخاطبين، وقد تكتسب في أثناء الحديث] [(١)].

وتستمر هذه الحرب البلاغية بين مكر الثعالب وإصرار المصريين على مطالبهم [ثم تابعت محاولات البعض لاعتلاء موجة تلك التظاهرات والمتاجرة

(١) طه عبد الرحمان: الدلاليات والتداوليات [أشكال الحدود] ، البحث اللساني والسيمياني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٦ ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٧٤م ، ص ٣٠٢ .

بشعاراتها] فالرئيس في هذا السياق يلمح لبعض الحركات التي يزعم أنها وراء تلك التظاهرات وتأجيجها، نحو: حركة كفاية / شباب الإخوان المسلمين/ حركة شباب ٦ إبريل/ الجمعية الوطنية للتغيير .

ثم يستمر المخاطب في العزف على وتر الخوف من المستقبل ملمحًا إلى مصير بعض الشعوب التي ثارت ضد حكامها [وعلينا أن نحاذر مما يحيط بنا من أمثلة عديدة انزلقت بالشعوب إلى الفوضى والانتكاس فلا ديمقراطية حققت ولا استقرارًا حفظت] .

فهو في هذا يشير إلى ما حدث في تونس وسوريا والعراق واليمن وما آلت إليه هذه الدول بعد ثوراتها .

ولعل لجوء المخاطب السياسي إلى الاستراتيجية التلميحية يكون استجابة لدواع سياقية، تجعله يعدل عن استعمال الخطاب المباشر بدافع من عوامل معينة؛ مثل السلطة، أو مراعاة التأدب .

ويمكن الإشارة إلى أهم المسوغات التي ترجح استعمال المرسل للاستراتيجية التلميحية :

[١] التأدب في الخطاب: ويعد هذا المسوّغ من أهم المسوغات؛ حيث يستعمله المرسل مراعاة لما تقتضيه بعض الأبعاد؛ مثل: البعد الشرعي، وما يمليه من ضرورة اطراح فاحش القول، بضرورة احترام أذواق الآخرين وأسماعهم. والبعد الثاني، وهو صيانة الذات عن التلفظ بما يسيء إليها، والابتعاد عن الكذب باستعمال التعريض.

[٢] رغبة المرسل أحيانًا في التملص والتهرب من مسؤولية الخطاب، وذلك يجعل الخطاب يحتمل أكثر من تأويل، منها القريب ومنها البعيد، فيختار المرسل إليه من التأويلات الممكنة ما يعتقد أنه الأنسب للسياق، مع استيفاء الفرصة لدى المرسل لينكر وينفي القصد الذي قد يوقعه في ورطة، ويكون هذا التملص، غالبًا عند إدارة الأزمات، أو وجود توتر في العلاقة بين أطراف الخطاب [١].

(١) د. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص ٣٧٢ .

ومع التلميح الذي يلجأ إليه المخاطب السياسي يتحتم عليه أيضًا في ذات الوقت ألا يكون واضحًا تمام الوضوح؛ لأن ذلك يقلل من عنصر الإيحاء في النص، ولكنه يلمح أحيانًا ولا يصرح ويغمض دون أن يوضح .

ولكن هذا التلميح أو الغموض لا يعني الإلغاز والتعمية التامة؛ لأن الرسالة لابد أن تكون قابلة للفهم، ومن ثم ، فالإيحاء لا يمكن عزله عن السياق بنوعيه؛ اللغوي وغير اللغوي؛ حيث ينبغي أن تراعي أطراف الخطاب وعناصره المختلفة.

ومن ثم، فالمخاطب السياسي يحرص كل الحرص على أن يكون أكثر كلامه تلميحًا لا تصريحًا؛ لما للأول من دور مهم في تكثيف المعنى، ولذلك يذهب ديكرو إلى أن [الاقتضاء أبلغ في التعبير من المعاني الصريحة] (١).

ولكن تبدو أهمية التلميح في الخطاب السياسي هي الأكثر تركيزًا من جانب المخاطب، فغالبًا ما يكون المعنى الضمني هو المعنى المقصود، ولذلك فنجاح العملية التواصلية متوقف على اتفاق طرفي الحوار على معنى ضمني واحد؛ أي أن يكون هناك تطابق بين ما يقصده المرسل وما يفهمه المتلقي.

تقول أندي ريشارد [طالما أن الاتصال هو إيصال رسالة إلى الغير بغية تغييره، أو إقناعه بشيء ما ، فإن نجاحها يتوقف على إيصال المعنى الضمني لها، بينما يصح فشلها التضارب بين المعنى الصريح والمعنى الضمني] (٢).

ولذلك، نرى من خلال هذه البيانات الثلاثة أن الرئيس مبارك زاوج بين المعنيين، الصريح والضمني؛ إذ إن الاكتفاء بالمعنى المعجمي المباشر والصريح في فهم الخطاب قد يؤدي إلى قصور في التأويل والفهم، ومن ثم فغالبًا ما نرى المتلقي ينتقل إلى تأويل ما يستقبله من رسائل يتجاوز المعنى المباشر لها؛ أي أن الأمر يتعلق بإدراك معانيها الضمنية لا مطابقتها للمعيار فحسب .

ونتيجة لهذه المزاوجة بين المعنيين، نجد أن الرئيس مبارك قد لجأ إلى بعض الأساليب الإنشائية كالنداء .. إلخ .

---

(١) د. حسن بدوح: المحاورة. مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢م ، ص ١٥ .

(٢) نقلاً عن: مصطفى حجازي: الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١ ، ١٩٩٠م، ص ١٧٠ .

ولعل غرضه الأساسي من هذا الأسلوب وغيره هو لفت انتباه المتلقي والتأثير فيه قصد إقناعه بالآراء والأفكار التي تحملها خطاباته .

ومقصد الإقناع هنا يستلزم فعالية لغوية ومنطقية؛ حيث تؤثر في المتلقي، وتجعله يعيد النظر فيما كان يحمله من أفكار ومعتقدات، فالمخاطبون دائمًا لا يقولون عادة ما يعنون ، فهم يقصدون معنى أكثر بكثير مما تعبر عنه كلماتهم.

وعلى أية حال، فإن الاستراتيجية التلميحية البارزة في بيانات مبارك الثلاثة كانت عبارة عن آليات تساعد المخاطب على أن ينجز بها أكثر مما يقوله؛ إذ يتجاوز قصده المعنى الحرفي لخطابه، وذلك بالارتكاز على أنواع السياقات المختلفة .

نتائج البحث:

تناول هذا البحث موضوع [التصريح والتلميح في الخطاب السياسي المصري المعاصر . دراسة تداولية .. بيانات مبارك إبان ثورة يناير نموذجًا] ، وقد توصلت من خلال البحث إلى مجموعة من النتائج من أهمها :

[١] لجأ المخاطب في كثير من الأحيان إلى التخفي وراء أقواله في بعض الأحيان، وظهر هذا التخفي في الانتقال من ضمير المتكلم إلى ضمير الجمع؛ لأن استعمال هذا الأخير يوحي بعدم المسؤولية .

[٢] بدأت أغلب الفقرات بالفعل أو الاسم المرتبط بضمير الجمع [نحن] ولم يستعمل الضمير [أنا] إلا في بداية الخطاب ونهايته؛ أي في افتتاح الخطاب وختامه، ثم إن الأفعال الواردة تتجه إلى إثبات صلاحية مبدأ حب الوطن والتضحية من أجله .

[٣] للبعد الخطابي التداولي أهمية بالغة في تفسير الخطابات السياسية وربطها بمقاماتها الخارجية .

[٤] ظهر من خلال البحث أن للاقتضاء / التلميح ميزة مهمة، وهي أنه يقدم تفسيرًا صريحًا لمقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل؛ أي أكثر مما يعبر عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعملة .

[٥] اتضح من خلال البحث لجوء المخاطب السياسي إلى سياسة التطويع، وهي تطويع بياناته الثلاثة لأهدافه ومقاصده التي يسعى إلى تحقيقها من خلال هذه البيانات .

[٦] ظهر من خلال البحث أيضًا أن المخاطب السياسي لا يسير على وتيرة واحدة في خطاباته السياسية، بل نراه ينتقل بين التصريح والتلميح خوفًا من الكشف عن إظهار آرائه الحقيقية للمتلقي .

[٧] لم يعد الحديث عن اللغة مقتصرًا على كونها أداة لنقل المضامين المجردة، بل تجاوز ذلك إلى بيان وظائفها وربطها بالسياقات والمقامات المتنوعة .

[٨] تمحور الخطاب السياسي حول شخصية المخاطب وإنجازاته، والوعود المتكررة بالديمقراطية والمشاركة الشعبية، والنهضة الاقتصادية، بلغة تكون أحيانًا بعيدة عن الإدراك الشعبي .

[٩] لجأ المخاطب إلى وسيلة مهمة من الوسائل التي تؤدي إلى تنامي الخطاب وتناسله وتضمن استمراره، وهي التكرار، فلم يكرر المخاطب من أجل التكرار، وإنما

جاءت خصوصية التكرار من حيث إجابته عن الأسئلة التي يطرحهـــا المـــستمعون ولكن في صمت؛ لأن الخطاب أحادي الاتجاه .

[١٠] تهيمن على الخطاب السياسي الجمل الخبرية، وقلما نجد فيه الجمل الإنـــشائية، وذلك لطبيعته الإخبارية .

[١١] إن النصوص – ولاسيما الأدبية – كثيرًا ما تكون غير مباشرة مليئة بالمجـــاز توحي أكثر مما تقول، كما ذهب إلى ذلك ابن جني حينما قال : [اللغة كلها مجاز].

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- نسخة مرئية من بيان مبارك في ٢٨ يناير ٢٠١١م .

Htt://www.youtube.comlwatch?=jwy٣vl٦iyi

- نسخة مرئية من بيان مبارك في ١ فبراير ٢٠١١م .

Htt://www.youtube.comlwatch?v=iuyviv١١gfi

- نسخة مرئية من بيان مبارك في ١٠ فبراير ٢٠١١م .

Htt://www.youtube.comlwatch?v=dsolwAuo٦jg&feature

ثانيًا: المراجع العربية:

[١] إبراهيم [محمود] : تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، دراسة مقارنة في النظرية والمنهج، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الأردن، ٢٠٠٤م .

[٢] إبرير [بشير] : في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل ، جامعة باجي مختار، عنابة، العدد٨ ، جوان ٢٠٠١م .

[٣] إسماعيل [د. أشواق محمد] : الاقتضاء. دلالاته وتطبيقاته في القرآن الكريم، دار دجلة، عمان، الأردن، د.ط، ٢٠٠٧م .

[٤] بدوح [د. حسن] : المحاورة. مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢م .

[٥] بوحوش [رابح] : الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مدير النشر، جامعة باجي مختار، ٢٠٠٦م .

[٦] التريكي [د. منير] : آليات تحليل الخطاب السياسي، مجلة الحياة الثقافية، تونس، السنة [٢٧] ، العدد [١٣٢] ، ٢٠٠٢م .

[٧] الجاحظ [أبو عثمان عمرو بن بحر] : البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٩٨٥م .

[٨] الجرجاني [عبد القاهر] : دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م .

[٩] حاتم [د. محمد عبد القادر] : الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م .

[١٠] حجازي [مصطفى] : الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠م .

[١١] حمادي [د. إدريس] : الخطاب الشرعي وطرق استثماره، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م .

[١٢] خطابي [د. محمد] : لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٩م .

[١٤] داود [د. محمد] : اللغة والسياسة في عالم ما بعد ١١ سبتمبر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م .

[١٥] سميسم [د. حميدة] : مفهوم الخطاب الإعلامي ضمن بحوث [تحليل الخطاب العربي] جامعة فيلادلفيا، كلية الآداب، ١٩٩٧م .

[١٦] الشهري [د. عبد الهادي بن ظافر] : استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م .

[١٧] عبد الرحمان [د. طه] : الدلاليات والتداوليات [أشكال الحدود] ، البحث اللساني والسيميائي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٦ ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٧٤م .

[١٨] عبد الكريم [د. جمعان] :الاستراتيجية وعلاقتها بالنص والخطاب، بحث منشور على الموقع التالي : www.lissaniat.net.

[١٩] العجمي [د. فالح بن شبيب] : اللغة والسحر، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٤م.

[٢٠] عكاشة [د. محمود] : لغة الخطاب السياسي، دار النشر للجامعات، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٥م .

[٢١] قسمية [د. دليلة] : استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي الشريف، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب، ٢٠٠٢م .

[٢٢] المتوكل [د. أحمد] : الوظيفة بين الكلية والنمطية، مكتبة دار الأمان، ط١، ٢٠٠٣م .

[٢٣] مرتاض [د. عبد الجليل] : اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٣م .

[٢٤] مزيد [د. بهاء الدين محمد] : تبسيط التداولية. من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، دار شمس للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م .

[٢٥] ابن منظور [أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم] : لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م .

[٢٦] الولي [د. محمد] : الموضوعات الحجاجية في المغرب، مجلة علامات، المغرب، العدد ١٩، ٢٠٠٤م .

ثالثًا: المراجع الأجنبية :

١- Divid. Nunan: Discourse analysis, Penguine book, first Published ١٩٩٣ .

٢- Teun A. Van Dijk" Discourse struncture and process_ Sage Publication Ltd, ١٩٩٧.